***Dirasat*: Human and Social Sciences, Volume 51, No. 3, Supplement 1, 2024**

Deanship of Scientific Research

Negative Stereotypes in Translations of One Thousand and One Nights

***Ahmad Ali Joudeh* ***

Department of Arabic Language, College of Arts and Educational Sciences, The Would Islamic Sciences University, Amman, Jordan.

Received: 15/11/2022
Revised: 29/6/2023
Accepted: 9/8/2023
Published: 30/6/2024

* *Corresponding author:*
Ahmad.Joudeh@wise.edu.jo

Citation: Joudeh , A. A. . (2024). Negative Stereotypes in Translations of One Thousand and One Nights. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *51*(3), 535–549. https://doi.org/10.35516/hum.v51i3.3075

© 2024 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This research aims to elucidate the reasons behind Orientalists' falsification of translations of "One Thousand and One Nights," depicting negative stereotypical images of Arabs and Muslims, portraying them as primitive people dominated by bigotry, bloodshed, and the sanctification of sensual and material pleasures, as well as unnatural relationships. It suggests that their religion incites them to do so.

Methods: The research was based on the descriptive method. To find out about forgery in translations, and the opinions of writers and orientalists and their analysis; to reach conclusions.

Results: The research concluded several results, the most important of which were: that the forgery in the translations of One Thousand and One Nights was intended to confirm the negative stereotypes that the West portrayed centuries ago for their fearsome and powerful enemy (Muslims); For a religious goal, which is to alienate Westerners from learning about Islam and entering it, and for a political goal, which is to occupy, control and rule the Arabs. The orientalists did not earn the respect of the West or the East for their falsification. Because they worked to corrupt the Catholic West and cause the torture and killing of millions of Muslims in the East.

Conclusions: The research called for a return to the origin of the book "One Thousand and One Nights", which was edited by Mohsen Mahdi and published by Brill Publications in 1984, which is devoid of additions and forgery and its publication, and exposing the forged Western translations, and The research called on the Arab countries to unite and adopt the means of civilization so that the West would stop exploiting and controlling them.

Keywords: Translations of Thousand and One Nights, stereotypes, orientalists.

الصورة النمطية السلبية في ترجمات ألف ليلة وليلة

أحمد علي جودة*

قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم التربوية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، الأردن.

ملخّص

الأهداف: يهدف هذا البحث إلى بيان الأسباب التي جعلت المستشرقين يقومون بتزوير ترجمات كتاب "ألف ليلة وليلة"، برسم صور نمطية سلبية للعرب والمسلمين، وتصويرهم بأنَّهم أُناسٌ بدائيون، يغلب عليهم التعصُّب وسفك الدماء، ويُقدِّسون المتع الجنسية والماديَّة، والعلاقات غير الطبيعيَّة. وأنَّ دينهم يُحرضُّهم على ذلك.

المنهجية: استند البحث على المنهج الوصفي؛ للوقوف على التزوير في الترجمات، وآراء الكتاب والمستشرقين وتحليلها؛ للوصول إلى الاستنتاجات.

النتائج: خلص البحث إلى عدة نتائج كان أهمها: أنَّ التزوير في ترجمات ألف ليلة وليلة كان الهدف منه تأكيد الصور النمطية السلبية التي تصورها الغرب قبل قرون لعدوهم القوي المخيف (المسلمين)؛ لهدف ديني وهو تنفير الغربيين من التعرُّف على الإسلام والدخول فيه، ولهدف سياسي وهو احتلال العرب والسيطرة عليهم وحكمهم. ولم يجنِ المستشرقون احترام الغرب أو الشرق على تزويرهم؛ لأنهم عملوا على إفساد الغرب الكاثوليكي والتسبب بتعذيب وقتل الملايين من المسلمين في الشرق.

الخلاصة: دعا البحث إلى الرجوع لأصل كتاب "ألف ليلة وليلة" والذي حققه محسن مهدي ونشرته منشورات بريل عام 1984، والذي يخلو من الإضافات والتزوير ونشره، وفضح الترجمات الغربية المزوَّرة. ودعا الدول العربية إلى الوحدة والأخذ بوسائل الحضارة حتى يتوقف الغرب عن استغلالهم والتحكم بهم.

الكلمات الدالة: ترجمات ألف ليلة وليلة، الصور النمطية، المستشرقون.

المقدمة

إنَّ العلاقة التي تربط الشرق مع الغرب علاقة قديمة، عندما كان الشرق قوياً مُتقدِّماً والغرب ضعيفاً متخلفاً. والقوي يكرهه الضعيف ويخاف منه، وترتبط في ذهنه صور عن هذا القوي بكونه مسيطراً ومتعطِّشاً لدماء أعدائه، لتصبح صورة هذا القوي صورة مُخيفة وقبيحة، ومع مرور الزمن تتكوَّن في مخيلة الشعب الضعيف صوراً أُخرى أشدُّ قتامة وتنفيراً، يستند في رسمها على دلائل من الشعب القوي نفسه، ومن كبار المثقفين والسياسيين والرَّحَّالة الذين يرتحلون إلى بلاد القوي يؤكدون تلك الصور التي وصلت إليهم من طرق مختلفة، فتتأكد هذه الصور السلبية والهمجية في مخيِّلتهم. وهذا ما كان في العلاقة بين العرب المسلمين في الشرق والصليبيين في الغرب. فالغرب كانوا ضِعافاً، لذا رسموا صورة الشرقي القوي المُسيطر في الأندلس أولاً والدولة العثمانية عند توسعها في أُوروبا ثانياً، واستند الغرب في تأكيد صور أعدائهم المسلمين على كتاب شعبي هو " كتاب ألف ليلة وليلة " بعد أن وصلت إليهم ترجمته وتزويره في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، وأكَّد الرحالة والسياسيون هذه الصور بما رأوه في الشرق كذباً، لتصبح صورة الشرق المتخيَّلة حقيقة ماثلة في الأذهان، وتعبيرات نمطيَّة لهذا الشرق القوي المخيف. وحتى بعد أنْ ضَعُف هذا الشرق وقوي الغرب واستعمره، وجد بأنَّ هذه الصور النمطيَّة صور ثابتة لهذا الشرق لا تتغيَّر، ويجب حكمه على أساسها بغض النظر هل هذه الصور صحيحة أم مُتخيَّلة ظنِّيَّة.

وقام البحث بتحليل هذه الصور المتخيَّلة ومصادر أخذها وتحليل مرجعياتها، للدِّفاع عن هذا الشرق عامة والمسلمين خاصة، ودحض كل الصور النمطيَّة التي وقفت عائقاً في علاقة الشرق مع الغرب، لتبقى العلاقة التي تربطهما معاً علاقة صراع وعداوة ومنافسة وسيطرة، وعلاقة مصلحة مؤقتة تنتهي العلاقة بانتهاء المصلحة.

أهمية البحث: يُلقي هذا البحث الضوء على علاقة الصراع والتنافس والعداء بين الغرب والشرق، هذه العلاقة التي استمرَّت منذ بداية الإسلام وحتى يومنا هذا. ووجد الباحث أنَّ المستشرقين قاموا بترجمة كتاب" ألف ليلة وليلة" إلى اللغات الأُوروبية، وأضافوا في ترجماتهم ما ليس من الكتاب الأصلي، وزوروا مشاهد فاحشة فيه. وأصبح - ما في ترجماتهم- صورة واقعية للعرب، وسلوكهم، وصفاتهم. فرسم الغربيون صوراً نمطية يتناقلونها جيلاً بعد جيل؛ لإبقاء أوار الحقد والكره والتنافس مُستمراً. فجاء هذا البحث ليكشف المسؤول الحقيقي عن هذا التزوير الممنهج الذي قام به المستشرقون عمداً، وأكَّد افتراء كل من المستشرقين والرحالة والأدباء الغربيين المتعصبين لدينهم ودولهم بأهداف استعمارية؛ ليسهل حكم العرب وتبرير استعمارهم سياسيًّاً.

هدف البحث: يُسلِّط البحث الضوء على كتاب " ألف ليلة وليلة " ليصبح هذا الكتاب الشعبي دليلاً دامغاً على صور نمطية سلبية رسمها الغرب للعرب والمسلمين؛ ليستمر العِداء بينهم وبين العرب. لذا جاءت هذه الدراسة لتحدد منْ صنع هذه الصور السلبية، وما غايته، وما على العرب فعله لتوعية الغرب؛ ليتوقف هذا العِداء المشتعل إلى يومنا هذا.

فرضية البحث: يقوم هذا البحث على فرضية رئيسة مؤداها أنَّ المصدر الذي اعتمد عليه الغرب في التعرف على العرب والمسلمين هو كتاب " ألف ليلة وليلة " وهو كتاب شعبي هندي الأصل، يقرأه القصاص للعامة، وزوّره المُستشرقون عند ترجمته، بالإضافات التي أضافوها فيه، وتصوير مشاهد الفاحشة تزويراً متعمداً؛ ليرسموا صوراً نمطية سلبية للعرب والمسلمين. لذا فهو يُخالف واقعهم، ولا يُعبِّر عنهم وعن صفاتهم.

إشكالية البحث: يستند هذا البحث على تساؤل رئيس هو: هل يتفق سلوك العرب في كتاب "ألف ليلة وليلة" مع الواقع الفعلي لهم سياسياً وفكرياً وعقدياً؟ وللإجابة على هذه الإشكالية نطرح العديد من الأسئلة:

- ماذا جنى المترجمون من هذه الترجمات؟
- هل تحرّوا الموضوعية والأمانة العلمية في ترجماتهم، أم أنهم جانبوا الحقيقة؟
- ما هي الثمرات التي اكتسبوها من تشويه الحقائق؟
- هل قامت هذه الترجمات على أبعاد سياسية بعيداً عن البحث العلمي الصحيح؟
- هل هناك نسخة لكتاب " ألف ليلة وليلة" عن نسخة الأصل وتخلو من التزوير؟

منهج البحث: اتبع الباحث فيه المنهج الوصفي التحليلي كمنهج للدراسة بعد الوقوف على التزوير في الترجمات، وآراء الكتاب والمستشرقين وتحليلها؛ للوصول إلى الاستنتاجات.

الدراسات السابقة: هناك دراسات سابقة تناولت الموضوع من زوايا مختلفة. أذكر منها:

1) إينو ليتمان، كتب دائرة المعارف الإسلاميَّة (10)، ألف ليلة وليلة (دراسة وتحليل)، وقد درس كتاب ألف ليلة وليلة بشكل عام وتاريخي وذكر المترجمين الذين قاموا بترجمته إلى اللغات الأُوروبية بالاعتماد على الترجمة الفرنسية لغالان.
2) إدوارد سعيد، في كتابه الاستشراق: درس الاستشراق بجميع ما يتَّصل به قديماً وحديثاً في المجالات المعرفية والسياسية، وركَّز على الاستشراق الحديث وخاصة الأمريكي. وتناول كتاب "ألف ليلة وليلة"، وترجماته المزورة كأدلة على الجانب السياسي ليبرر استعمارهم للمسلمين والسيطرة عليهم.
3) محمد مصطفى الجاووش، الليالي العربية المزورة: تحدَّث عن التزوير في الكتاب بحكايتين هما: علاء الدين وعلي بابا والتي أضافها غالان في مجلدات الليالي العربية وهما ليستا من قصص "ألف ليلة وليلة" الأصلي.
4) محسن مهدي، في "كتاب ألف ليلة وليلة: من أصوله العربية الأولى": وهي نسخة طبق الأصل عن نسخة الكتاب المفقودة. وقام المحقق بدراسة تسبق الكتاب، تحدث فيها عن لغة الكتاب وطريقة بناء القصص فيه وبروز الجانب الديني المتنوع للحكايات، والتي تثبت أنَّه الأقرب إلى النسخة الأصل المفقودة، يخلو من الإضافات والتزوير الذي قام به مترجمو الغرب.

لذا جاء هذا البحث ليكشف الأسباب التي دعت المترجمين للتزوير عمداً، وتفنيد الصور السلبية التي استقاها الغرب من ترجمات "ألف ليلة وليلة" المزورة.

هيكل البحث: جاء البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة وتوصيات تليها المصادر والمراجع.

المبحث الأول: كتاب ألف ليلة وليلة: طبيعته، وأصله، ومضامينه ولغته

وقبل الشروع بالحديث عن كتاب " ألف ليلة وليلة" علينا أولاً أن نحدد نوعه من الأدب العربي كما قسمه الدارسون العرب. " يُقسم الأدب العربي إلى قسمين: أمَّا الأول فهو الأدب الرسمي أو الراقي الذي يقوم بكتابته العلماء والكتاب والحكماء، وهو أدب جاد، كالرسائل، والمقامات ولغته فصيحة. أمَّا الثاني فهو الأدب الهامشي أو الشعبي أو أدب العامَّة (الموجَّه إلى العامَّة)، ولغته قريبة إلى اللغة العامِّيَّة أو المحكيَّة، "ويدور حول اللهو والتسلية كالسِّير والقصص الشعبي" (الشاروني. 2008).

وبما أنَّ كتاب "ألف ليلة وليلة" من القصص الشعبي التي يُلقيها القصَّاص على العامَّة، وهي مجهولة المؤلِّف، " تتكوَّن من مجموعة أساطير وحكايات خرافيَّة. والكتاب في الأصل يجمع نحواً من مئتي سمر، موزَّعة على مئتين وأربع وستين حكاية، مقسَّمة على ألف ليلة وليلة. وقد تطول الليلة فتتجاوز الصفحات، وقد تقصر فلا تتعدَّى الأسطر. فهو من الأدب الهامشي الذي لا يُعتدُّ به، ولا يُعدُّ من الكتب التي تصوِّر العرب، وحياتهم، وسلوكهم، وطباعهم" (غريب، ج: 1983). ولاحظ رئيف خوري بأنَّ الكتاب كان يحمل عنوان " ألف ليلة " بدون "وليلة" وهذه الكلمة الأخيرة أُضيفت إليه في قرون لاحقة (خوري. 1995).

ويرى البرغوثي أنَّ أصله هندي الإطار، كما أنَّ الفن الهندي يتمثَّل في أسلوبه الذي يمزج حكاية بأُخرى ... (البرغوثي. 1986). والمقصود أنَّ طريقة الهنود في السرد القصصي تعتمد على قصة الإطار وهي القصة الرئيسية التي تنبثق منها ألف ليلة وليلة وهي حكاية شهرزاد وشهريار.

وبالرجوع إلى التراث العربي نجد أنَّ المسعودي (ت346هـ) ذكر كتاب " ألف ليلة وليلة" في كتابه "مروج الذهب"، مؤكداً على أنَّ أصله غير عربي ووصل إلينا بعد ترجمته. "هذه أخبار، موضوعة من خُرافات مصنوعة، نظمها مَنْ تقرَّب للملوك بروايتها، وصال على أهل عصره بحفظها والمُذاكرة بها، وأنَّ سبيلها الكتب المنقولة إلينا والمُترجمة لنا من الفارسيَّة والهندية والروميَّة، وسبيل تأليفها مما ذكرنا مثل كتاب " هزار أفسانة "، وتفسير ذلك من الفارسية إلى العربيَّة ألف خُرافة، والخُرافة بالفارسيَّة يُقال لها أفسانة، والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة " (المسعودي. 2005). فهذا الكتاب كما يقول المسعودي هو هندي الأصل واسمه (هزار أفسانة) وتعني ألف خرافة، وترجمه الفرس ثُمَّ ترجمه العرب ويحتوي قصصاً خرافية للتسلية.

كما وقد وصفه ابن النديم (ت385هـ) في كتابه "الفهرست" فتحدث عن أصله، ولم يمدحه. "كتاب "هزار أفسانة" ويحتوي على ألف ليلة وعلى دون المائتي سمر، لأنَّ السمر ربما حُدِّث به في عدَّة ليال وقد رأيته بتمامه دفعات وهو بالحقيقة كتاب غثٌّ بارد الحديث" (ابن النديم. 1985).

فابن النديم يراه كتاباً غثاً بارد الحديث لحكاياته والطبقة الموجه إليها، وحتى لغته وأسلوب كتابته، وكأنَّه يقارن بينه كأدب للعامة وبين أنواع الأدب الرسمي الذي يُكتب للخاصة والمثقفين ويحمل صفات الرقي والإبداع بنظره.

ترجمه العرب في القرن الثالث الهجري، وأخذ العرب يضيفون إليه من عندهم، ويصبغونه بصبغتهم، حتى بلغوا به القرن العاشر الهجري، فقيَّدوه إثر عصر المماليك على الشكل الذي وصل إلينا (ليتمان. 1982).

فاللغة التي صبغها العرب عليه هي "عربية عامية تجتمع فيها لهجات عديدة لأمصار عديدة، وإلى فئات اجتماعية وأوساط مهنية متباينة" (علي، ع: 2010). "والمستشرقون يُركِّزون على " ألف ليلة وليلة" لما فيها من التصوير الاجتماعي والتسلية، ولأنَّها تمثِّل نمطاً لغوياً خاصاً يسمونه العربية

الوسطى. ويكثر في هذا النمط تراكيب وأوزان تخرج عن المألوف من قواعد النحاة" (عمايرة. 1995).

وهناك مَن يرى بأنَّ فيه تأثُّراً بالقصص اليونانيَّة كقصة سندباد البحري التي تشبه ما في ملحمة " الأُوديسة " لهوميروس (غريب.1981). ويرى إحسان عباس أن قصة السندباد في رحلاته السبع ليست من الكتاب " وإن لم تكن في الأصل من ألف ليلة وليلة" يكاد كل عنصر أسطوري فيها أن يجد ما يوازيه في أدب الشرق والغرب، وفيها عناصر تشبه بعض ما في حكايات الإسكندر، وعناصر تشبه بعض المواقف في قصة عوليس (Ulysses) وغيرها" (عباس. 1977). وهذا ما قام به غالان عندما بدأ بإضافة قصص إلى ترجمته فوضع قصة أُديسيوس بقصة السندباد البحري التي تتحدث عن العملاق بعين واحدة والذي يأكل البحارة، مما جعل السندباد والبحارة يقومون بقلع عينه؛ للنجاة منه.

وتعد قصص ألف ليلة وليلة من نوع التسلية الهابطة، وأنَّ لها شعبيتها بين أوساط الأُميين" (قباني. 1993).

فعدم دراسة القصص وتحليلها في العصور السابقة من قبل الأدباء والمؤرخين والنقاد باستثناء المسعودي وابن النديم، وحتى هما لم يمدحاها، ولم يتعرَّضا لها بالشرح والتحليل.

إذن لم يحفل به العرب، ولم يدرسوه أو ينقدوه كما درسوا ونقدوا أدب الخاصة (الرسمي) كالرسائل والمقامات والمؤلفات وهذا دليل على سقوطه عند العرب؛ للغته العامية، وأصله غير العربي وأسلوبه الغث البارد الذي يخالف الأدب الرسمي الرصين. أما الغرب فقد جعل هذه القصص من الأدب الذي يجب دراسته وتحليله ونقده والتأثُّر به في أدبهم أولاً، ودليلاً على صفات العرب وأخلاقهم وسلوكهم ثانياً.

المبحث الثاني: ترجمة كتاب " ألف ليلة وليلة "

تعرَّف الترجمة بأنَّها: " نقل كلام من لغة أصلية إلى لغة فرعيَّة مع الإيضاح والإبانة للمعاني الواردة في اللغة الأُولى بوساطة اللغة المنقول إليها، وهذا هو المراد بالمصطلح على الإطلاق" (السراقبي. 2007) فالترجمة تعني النقل دون الإضافة أو التغيير والتزوير، لذا " فالترجمة يجب أن تبدو كصورة أمينة للنص الأصلي، أي أنْ تكون نصاً يشبهه بقدر الإمكان. وعندما يقول القارئ إنه يقرأ نصاً مُترجماً ولا يشعر أنه مترجم يعبر عن هذا المطلب أصدق وأبلغ تعبير... وعن رغبته في ألاَّ تشوه الترجمة صورة الثقافة التي يعكسها النص" (أسعد. ترجمة النص الأبي). فالترجمة الصحيحة هي التي يسعى المترجم إلى نقل المعنى من لغة أصلية كُتب فيها العمل الأدبي إلى لغة أخرى دون إضافات ليست من الكتاب الأصلي أو تزوير يغير ما في الكتاب مهما كان المترجم يرى رأيه أصوب من المؤلف، لذا عليه أنْ يكون صادقاً بالنقل، دقيقاً، وأميناً دون تحيُّز.

" وعلى المترجم أن يلتزم الدقة، وأن ينقل النص الذي يترجمه بأكبر قدر ممكن من الأمانة، ... حتى لو تنافى ذلك مع جمال الأسلوب ومنطق اللغة التي يترجم إليها ... فالدقة والأمانة شرطان أساسيان في ترجمة النصوص الأدبية" (أسعد. ترجمة النص الأبي).

وعندما قام الغرب عن طريق مستشرقيهم الذين زاروا الشرق وتعلموا لغته وتعرفوا على حضارته بترجمة المصادر الدينية والأدبية، تأثروا بتصوراتهم عن الشرق والإسلام، ونتيجة المنافسة والعداء تحيزوا لدولهم على الصعيد السياسي ولدينهم على الصعيد الديني فزوَّروا ما ترجموه تعصباً. فقد" حكمت الرؤية الاستشراقية موقف الغرب الفكري والنظري من الإسلام خلال القرون الأربعة الأخيرة، وحاولت قراءة الإسلام وتفسير تاريخه وتحليل مدارسه الاجتهادية، مُستندة إلى الموضوعية حيناً والتحامل أحياناً أخرى، ولا يزالون حتى اليوم يستقون معلوماتهم عن الإسلام من كتابات المختصين وهؤلاء بطبيعة الحال من طبقة المستشرقين ... وبالتالي فقد ارتبط الاستشراق الغربي بالمشروع الاستعماري الفرنسي – البريطاني، والذي أصبح الاستشراق وجهه الثقافي" (القزاز. 2013).

وقد يسأل سائل: ولم نتحامل على المستشرقين وهم من كان لهم دور كبير بترجمة تراثنا، وتعريف الغرب بلغتنا وديننا وأدبنا؟ ونجيب على ذلك بأنهم لم يدرسوا الشرق وتراثه في القرن الثامن عشر والتاسع عشر إلاَّ بدوافع سياسية ودينية.

"فالاستشراق مسؤول بدرجة كبيرة عن تكوين وتشكيل وتأصيل موقف الغرب (المتعصب) ضد الإسلام وحضارته" (حربي. 2006). فحقيقة أنَّهم متعصبون ضد الشرق فهذا حقيقة لا يمكن مناقشتها، ونجدها في كذبهم وافترائهم على الإسلام كديانة في الكثير من كتبهم وتعليقاتهم. " فقد كانوا يضعون الاتهام أولاً، ثمَّ يبحثون عن الأدلة التي تقوّي هذا الاتهام. فأقبل هؤلاء على الاستشراق لأسباب دينية ... ولأسباب سياسية" (حربي. 2006).

وعندها انقسم المستشرقون إلى قسمين: متحيزين وأغلبهم كان من مواطني الدول الاستعمارية والتي استعمرت المسلمين في قارتي آسيا وأفريقيا كالإسبان والفرنسيين والبريطانيين وغيرهم، وهؤلاء درسوا الإسلام وترجموا مصادره وأثاروا الكثير من الافتراءات والأباطيل حول القرآن الكريم والسنة النبوية والسيرة النبوية واللغة العربية والأدب وغير ذلك. وموضوعيين محبي العلم والمعرفة وبلادهم لم توظفهم لدوافع سياسية أو أن تعصبهم لدينهم دفعهم لتزوير ترجمتهم والهجوم على الإسلام والعرب وأغلبهم من الألمان. " فمنذ أواخر القرن التاسع عشر كان الألمان يهتمون بالمجتمعات الشرقية المعاصرة أو بأفريقيا الإسلامية لهدف استعماري، ولكن توقف بعد عام 1920 بعد نهاية الحرب العالمية الأولى حيث ظلت غلبة فقه اللغة المهيمن إلى يومنا هذا ... لم تهتم ألمانيا بالشرق والإسلام وأصبح الاهتمام بها هامشياً حيث بدأ في الدول الناطقة بالألمانية ظهور تهميش للشرق المعاصر فظهر في خطاب الاستشراق الألماني الموضوعية وعدم التعصب" (رومان. 2017).

"فهناك استشراقان: استشراق استعماري متعالٍ مُشبع بروح المركزية الغربية، واستشراق منفتح معبِّر عن عمق التفاعل بين الثقافات والمبني على

ضرورة الحوار فيما بينهما" (توفيق. 2003.).

فظهر للعرب جهود الكثيرين من المستشرقين وخاصة الألمان خالية من العنصرية والتحيُّز يدفعهم حب العلم والتفاني في طلبه وترجمته بدون افتراء أو تشكيك. " وقد كثر الحديث حول الاستشراق الألماني تحديداً بمنهجية تميل إلى إنصاف هذه المدرسة، بتوكيد ميلها إلى الموضوعية والعمق، والبعد عن الارتباطات التي أساءت إلى مدارس الاستشراق عموماً" (النملة. 2018). وقد ذكر الإدريسي واحد وثلاثين مستشرقاً ألمانياً اتسمت ترجماتهم بالصدق والأمانة وذكر منهم ليتمان وفشر وبروكلمان (Brockelman) وفليجل(Flagle) وبيفان(Pivan) وريتر (Reiter) وزيغرد هونكة(Hunkeh) (الإدريسي. 2005).

أوَّل من قام بترجمة الكتاب (أنطوان غالان) مساعد السفير الفرنسي في الدولة العثمانية في تركيا، الذي قام بترجمته إلى الفرنسيَّة ما بين (1704م– 1717م) باسم "الليالي العربية" ثُمَّ بعد ذلك تُرجِمَ إلى الألمانيَّة والدنماركيَّة والإسبانيَّة والإنجليزيَّة والبولنديَّة (ليتمان.1982).

ويرى المستشرق الألماني هانز غروتزفيلد (Grotzfeld. Hanze) أنَّ (غالان) (A. Galan) أحضر المخطوطة غير كاملة؛ لأنها تتكون من 282 ليلة فقط، واعتمد على مصادر أُخرى، فقد ادَّعى (غالان) أنَّه تلقى قصص وحكايات من راوٍ ماروني من مدينة حلب اسمه (حنَّا دياب) الذي جاء له زائراً من الشرق، وهذا ما أثار إعجاب الكاتب الأرجنتيني بورخيس، بغموض حنا ومساهمته الخرافية – ولو خرافية- لإتحاف الآداب العالمية بكتاب ألف ليلة وليلة. وقد ترك (غالان) ملخصات لبعض القصص التي سمعها – غالباً من حنَّا- في يومياته نذكر على سبيل المثال قصة (غانم بن أبي أيوب) المتيم المسلوب و(لطائف مرجانة أو اللصوص الأربعون الذين أهلكتهم حيلة جارية) وهذه الأخيرة ملخص قصة علي بابا، مع ملاحظة أنَّ فيه لم يكن اسم البطل (علي بابا) بل (خواجة بابا) (الجاووش. 2011)، كما وأضاف "حكاية علاء الدين وحكاية الأمير أحمد والجنية باري بانو وحكاية أبي الحسن النائم اليقظان، وحكاية مغامرة هارون الرشيد الليلية، وحكاية الشقيقتين الحاسدتين على شقيقتهما الصغرى" (الجاووش. 2011). كما وقام كل من القسيس السوري ديونيسيوس شاويش واللبناني ميخائيل الصباغ بنشر حكايتي "علاء الدين وعلي بابا" في القرن التاسع عشر بعد ادِّعائهما أنهما عربيتان مع أنهما أخذاها من ترجمة غالان (الجاووش. 2011). ويرى إحسان عباس أن قصة السندباد في رحلاته السبع " لم تكن في الأصل من ألف ليلة وليلة " (عباس. 1977). لأن غالان أضافها مع ما أضاف من قصص بمساعدة الماروني حنا دياب.

في القرن الثامن عشر الميلادي قام إدوارد لَاين (E. Lane) البريطاني - الذي أمضى خمس سنوات في القاهرة يتكلم العربية ويفهمها - بترجمة كتاب " ألف ليلة وليلة " فلم ينسَ خفره البريطاني لذلك كان يتتبع ملاحظات غالان ويُلاحقها كأنَّه قاضٍ في محكمة التفتيش. فكان يُلحقُ الترجمة الحواشي المقلقة التي تهمس أشياء مثل: أهمل هنا مقطعاً يستوجب اللوم. أحذفَ شرحاً مقززاً... إنَّ أي تلميح شهواني مهما كان خاطفاً أو غير مباشر، كان يجعل لَاين ينسى كل كرامته لِيُضاعف إغفاله وتشويهه للحقيقة" (الجاووش. 2011).

"وفي عام 1872 قام الانجليزي ريتشارد بروتون (R. Britton) والذي وضع ترجمته الشهيرة لِـ " ألف ليلة وليلة" باللغة الانجليزية وقد ترجمها عن ترجمة غالان الفرنسية، تمكنت هذه الترجمة من الاستئثار بالمكانة التي كانت تحظى بها الترجمة الفرنسية لِـ(أنطوان غالان) فقد أدخل في ترجمته كل ما يُثبت الملامح الهمجية للعرب" (الجاووش. 2011)، ووضع في ترجمته كل ما أحجم كل المترجمين قبله كـ(غالان) و(لاين) من كتابة القصص وإعادة صياغتها وتضمين الفحش والعهارة وما يجلب التقزز فيها تزويراً بيِّناً، ونشر ألف نسخة، فانتشرت هذه الترجمة وأصبحت هي النسخة التي تُرجِمتْ إلى اللغات الأُوروبية فيما بعد. وأكدَ (بروتون) في ترجمته هذه الصور النمطية التي كان الغربُ يبحث عنها، وقام بتأكيد هذه الصور كذباً في رحلته إلى الشرق، مُدَّعياً أنَّ العرب يعيشون أجواءَ ألف ليلة وليلة، فنجد التعصب وسفك الدماء دون ضابط، وادَّعى أيضاً انتشار الزنا واللواط بينهم، وأنَّ المرأة شبقة أكثر من الرجل. وكان يهدف من ترجمته المزوَّرة إلى تبرير سمعته كمستعرب وتوسيعها وتقديم عمل مختلف تماماً عن عمل لَاين الذي كان يُنافسه، وإثارة اهتمام رجال القرن التاسع عشر البريطانيين رفيعي المستوى حيال الترجمة المكتوبة لقصص إسلامية شفوية تعود إلى القرن الثالث عشر (الجاووش. 2011).

فمن المعروف كما ذهب ليتمان بأنَّ المستشرقين " قاموا بإضافة قصص معروفة وغير معروفة من مخطوطات عثروا عليها فزادوا في مجلَّداته حتى وصلت أكثر من ستة عشر مجلداً " (ليتمان. 1982). وهذه الإضافات مُتخيَّلة من عرب ساعدوا مترجمي ألف ليلة وليلة، أو قصص وضعها مترجمو ألف ليلة وليلة كـ(غالان)، لذا نعد كل من أضاف قصة لألف ليلة وليلة تزويراً، كما نعُدُّ أي توضيح لمشهد في حكاية فيه فحش وقذارة كالذي فعله بروتون تزويراً أيضاً؛ لأنَّه توسع في الوصف والتفسير الفاحش لم يُذكر في " ألف ليلة وليلة " وأغلب ما تم توضيحه أو إن شئت تقبيحه من الحكايات، تلك التي قام غالان بإضافتها في ترجمته الفرنسية.

ومن المحاولات لإيجاد نسخة من كتاب " ألف ليلة وليلة" طبق الأصل بدون إضافات أو تزوير نجد أنَّ الباحث محسن مهدي بذل جهداً مضنياً استغرق عشر سنوات في البحث والمقارنة والمضاهاة بين نسخ كتاب "ألف ليلة وليلة" في المكتبات في العالم، ليحقق من أيها الأصوب والأقرب إلى النسخة الأم المفقودة وأمضى جهده إلى تحقيق نسخة مجهولة أصدرها مسبوقة بدراسة إضافية وعميقة عن منشورات (بريل) الهولندية عام 1984، وهي تشمل ما يقرب من أربعمائة ليلة، لكن مهدي عدَّها كتاباً كاملاً نظراً للطبيعة البنائية للحكايات" (مهدي. 1984).

وقد عد هذه النسخة مطابقة للأصل بعد مقابلتها في جميع النسخ للكتاب في مكتبات الشرق والغرب وتشمل القصص التالية: " قصة الملك شهريار وشهرزاد ابنة الوزير، قصة الحمار والثور والتاجر وامرأته، قصة التاجر والجني، قصة الصياد والجني، قصة الحمال والصبايا الثلاث، قصة التفاحات الثلاث، قصة الوزيرين نور الدين علي المصري وبدر الدين حسن البصري، قصة الأحدب صاحب ملك الصين، قصة نور الدين بن بكار والجارية شمس النهار، قصة الجارية أنيس الجليس ونور الدين ابن خاقان، قصة جلنار البحرية وابنها الملك بدر، و قصة الملك قمر الزمان وولديه الأمجد والأسعد" (مهدي. 1984). مما يدل بأنَّ الكثير من الإضافات وكما يؤكد محسن مهدي بأنها مزورة وليست "من ألف ليلة وليلة". وخاصة الحكايات التي ذكرها كل من الجاووش وإحسان عباس سابقاً.

لقد وجد محسن مهدي نسخة من الكتاب يتكون من 400 ليلة، بينما عدد ليالي النسخة التي ترجم منها غالان تتكون من 282 ليلة، وأضاف فيها حكايات ليست من الكتاب حتى وصلت لألف ليلة وليلة، لنعرف مقدار التزوير الذي قام به غالان بإضافة ما يقرب من ثلاثة أضعاف عدد الليالي من نسخته، مما يدل على أنَّ نسخته التي نشرها عمداً مبنية على التزوير.

المبحث الثالث: رسم الصور النمطية السلبية من خلال ترجمات كتاب " ألف ليلة وليلة "

تعرَّف الصورة النمطية (Stereotype) بـ " الصورة الذهنية المشتركة التي يحملها مجموعة من الأفراد، والتي تكون صورة مُغرقة في التبسيط، وتتكون من رأي ناقص أو مُشوَّه، أو مُبسَّط، وقد تتمثَّل في موقف عاطفي تجاه شخص أو قضيَّة أو حدث ما، وهي غالباً ما تكون بعيدة عن الحقيقة، نتيجة للحذف، أو الإضافة، أو التحيُّز، أو الاستنتاج الخاطئ، أو التشويه المتعمَّد"(عبد الرازق. 2002). فهي أفكار شعبية وتصورات وأفكار شائعة حول مجتمع يعتنقها مجتمع آخر دون مناقشة أو تحقيق، ودون الشك في صحتها.

لقد نشأت بين الشرق والغرب علاقة اتسمت بالصراع، والمواجهة، والتنافس، والعداء. " ما زالت ممتدة منذ ظهور الإسلام في القرن السابع إلى وقتنا الحاضر"(عبد الرازق. 2002). وتشكلت في ذهن الغرب عن الإسلام صور نمطية منذ ذلك الوقت " فهو رمز للرعب والدمار، والتخريب، والهمجية، وهي كلها تصورات غربية أنتجها العقل والخيال الأوروبيان حتى وقتنا الحاضر، فلقد ورثت الحضارة الغربية تركة العصر الوسيط فيما يتعلق بالنظرة إلى الآخر الإسلام" (عبد الرازق. 2002).

وتقسم الصور النمطية إلى قسمين: إيجابية، تُعطي صورة ذهنية جميلة ومحببة عن الآخر تتسم بالمودة والتقبل. وسلبية، تعطي صورة ذهنية وهمية مُشوَّهة وبشعة تتسم بالعداء والكره والرفض. " وهي مصدر أساسي للتحامل الديني والعنصري عليها، مع أن الأحكام الناتجة عنها عاطفية أكثر منها عقلانية. وكما نعلم فإن أساس التحامل تمثيل عقلي غير صحيح أو صورة غير مطابقة تماماً للحقيقة" (عايش. 1993).

لا شكَّ أنَّ ترجمة غالان وإضافاته لحكايات كتاب " ألف ليلة وليلة " كان لها أثر سلبي في نسج صور نمطيَّة مُزوَّرة عن الشرق والعرب تحديداً من ناحية تكوين الألوان والخطوط الأساسيَّة للصورة وتطويرها التي اختطَّها الغرب عن المنطقة العربيَّة؛ مجتمعها وحياتها وماضيها. فقد " اتخذ الغرب كتاب "ألف ليلة وليلة" وثيقة اجتماعيَّة وصورة بانوراميَّة للحياة العربية الإسلاميَّة" (الدعمي. 1995). فالليالي قدَّمت الشرقي وجوداً سلبيَّاً، حيث يسيطر عليه القدر والنصيب واللايقين وغيرها من الصور التي تصوِّرها الليالي في عقل الغربي فيصعب اجتثاثها، وجعلت منه مُحباً للدنيا والبقاء ينهل من المتع والشهوات ويخاف الموت. وهذه صورة تُناقض صورة العرب وفروسيتهم وشجاعتهم التي كرهم الغرب عليها في الواقع، وأيضاً يُخالف معتقدهم الديني الذي يدعوهم إلى الجهاد والشهادة. فمن يحب الحياة لا يذهب للموت ويقاتل ببسالة. فالليالي العربيَّة لـ(غالان) وترجمات " ألف ليلة وليلة " إلى اللغات الأُخرى وخاصة ترجمة (بروتون) عملت على تشويه صورة العرب وتكوين صور نمطيَّة في عقول الغربيين يصعب اجتثاثها. " إنَّ صورة المسلم دموي الطبع، مُخرِّب، شديد الفظاظة والمدفوع برغبة الانتقام" (غويتسولو.1987).

والسؤال الذي يُطرح: لِمَ يلجأ المترجم الغربي إلى التزوير؟

" إنَّ المُترجمين الغربيين أضافوا بالقصد العمد القائم على التعصُّب والخصومة، أضافوا إلى بشاعة الصورة التي يحملها كتاب " ألف ليلة وليلة " إضافات زادته فساداً، فقد أشار (غالان) المستشرق الفرنسي الذي قام بترجمة كتاب ألف ليلة لأوَّل مرة عام 1704 بأنَّه " فرنج " الكتاب لِيلائم ذوق قارئه، وأنَّه عمد إلى رسم ما سمَّاه صورة الشرق الحيواني" (الجندي. 1973). وكذلك فعل مورودوس (Morodos) عام 1899 في ترجمته الكتاب للفرنسيَّة، فقد" صرَّح بأنَّ ترجمته مأخوذة من طبعة بولاق التي صدرت عام 1835، وصدرت ترجمته في ستة عشر مجلداً، وأدمج فيها حكايات غير " ألف ليلة وليلة " أخذها من مصادر مختلفة، ولم يكن يتقيَّد بشيء في ترجمته " (ليتمان. 1982).

فكيف يأخذ حكايات من مصادر مختلفة بدون التثبُّت منها، ويضيف إليها حكايات أُخرى ويقرِّر أنها " ألف ليلة وليلة" كما فعل (غالان) عندما أخذ حكايات من الماروني حنَّا دياب وأضافها إلى ترجمته؟!!

وقال (ريتشارد بروتون) في مقدمة ترجمته لألف ليلة وليلة: " أراد منها أن يتعرف مواطنوه مما فيه الكفاية على طباع المسلمين وعاداتهم وأخلاقهم ليكون لديهم الحنكة الضروريَّة لحكم المسلمين الواقعين ضمن امبراطوريتهم" (الجندي. 1973).

وهذا لا يدعُ شكاً بأنَّ المترجمين هدفوا إلى رسم صور نمطيَّة للعرب من خلال إضافات وتزوير أضافوها بقصد عمداً، وأوَّلهم (غالان) الفرنسي

الذي أسمى ألف ليلة " الليالي العربيَّة ". وكذلك فعل المترجمون بعده، فهم أكَّدوا ما في الترجمات من تزوير، فجعلوا ما في" ألف ليلة وليلة " واقعاً للغربيين وهو غير ذلك؛ لأهداف سياسية لاستعمارهم، والتحكم بهم، حتى أنَّهم ردُّوا على كذبهم في كتبهم، وهم يمدحون أخلاق العرب وحياتهم وسلوكهم بعد رحلاتهم للبلاد العربية، وهم لا يدرون بذلك.

ويمكن أنْ ندرج أبرز الصور النمطيَّة السلبية التي تناقلها الغرب عن العرب ووجدنا من كتاب ألف ليلة وليلة من القصص التي أضافوها، ما يؤكد هذه الصور النمطية:

الأولى: التعصُّب القبلي وسفك الدماء: فحينما وُجِدَ العرب في الجاهليَّة قبائل، وكل قبيلة يتعصَّب أفرادها لحمايتها، والقتال من أجلها، والثأر لقتلاها؛ ولأنَّ العرب في العصور الوسطى كانت تستخدم السيف في القتال، فصورت القصص المضافة تعصب العرب والقتل دون محكمة أو قاض ودون عقاب القاتل.

وفي قصة علاء الدين وهي من القصص المُضافة التي أضافها (غالان). قام أخو الساحر المغربي بقتل فاطمة الزاهدة ولبس لباسها، ليغدر بعلاء الدين ويقتله، لقول المارد يُطلع علاء الدين على خبر الساحر وحيلته: " وأمَّا الذنب من الملعون أخو المغربي الساحر مستقيم وعامل روحه فاطمة العابدة، وقد لبس ملبوس فاطمة، وقتلها في مغارتها، وتزيَّى بزيّها وأحوالها وجاء ههنا طالب هلاكك لكي يأخذ بثأر أخيه منك" (الجاووش. 2011).

وفي قصة السندباد البحري وهي من القصص التي أضافها (غالان)، عادة دفن الزوج الحي مع زوجته الميتة، لقول جار سندباد له: " هذا النهار يدفنون زوجتي ويدفنونني معها في القبر! فإنَّها عادتنا في بلادنا إذا ماتت المرأة يدفنون معها زوجها بالحياة وإذا مات الرجل يدفنون معه زوجته بالحياة حتى لا يتلذذ أحد منهم بالحياة بعد رفيقه" (ألف ليلة وليلة. د.ت. ج3). وعادة دفن الزوج الحي مع زوجته الميتة صورة نمطية خاطئة وليست من الإسلام وتعاليمه، وكانت منتشرة عند القبائل الإفريقية، ووضعها غالان ليعطي صورة نمطية مشوهة للمسلمين وغير صحيحة.

الثانية: الشبقيَّة الجنسية (الانفلات الجنسي): فمنذ ظهور الإسلام وجد الغرب أنَّ الإسلام أباح تعدُّد الزوجات، فقالوا: إنَّ المسلمين ورسولهم يُحبون المتعة الجنسيَّة فحكموا عليهم بالشبقيَّة، ثُمَّ عكسها الرحالة ومنهم بروتون كذباً، فأصبحت المرأة العربيَّة شبقة تحبُّ المتعة الجنسيَّة وتمارسها مع الأغراب.

ووجد الغربيون -بعد قراءة الليالي العربية- أنَّ ما قامَ به (غالان) في ترجمته يُدَعِّم هذه الصور وخاصَّة أنَّ شهريار وأخاه تعرَّضا للخيانة من زوجتهما، فأكَّدَ ذلك تصوّرهم الخاطئ. وما قام به الرحَّالة بعد ذلك هو تأكيد هذه الصور في عقول الغربيين.

وفي قصة غانم بن أيوب وقوت القلوب وهي من القصص المُضافة التي أضافها (غالان) وأفحش في وصف المشهد بروتون. حديث العبد الأول الذي أخبر العبدين بقصته وكيف أنَّه اغتصبَ ابنة سيده مما جعل سيده يقوم بإخصائه. " فلاعبتها ولاعبتني فنفر إحليلي حتى صار مثل الفتاح الكبير ...، ثُمَّ أنَّهم أمسكوني على غفلة وأخصوني" (ألف ليلة وليلة. د.ت. ج1). فهذا الكلام الفاحش الذي يخدش الحياء زوَّره بروتون بشرح المشهد الجنسي ليدل على ابتذال الفتاة والشهوة العارمة لها، وهي ابنة عشر سنوات. وهذا غير معقول لفتاة بسنها!!

وحديث العبد الثالث – في القصة ذاتها- الذي أخبر به العبدين: " يا أولاد عمِّي كل ما حكي بطال، فأنا أحكي لكم سبب قطع خصيتي وقد كنت أستحق أكثر من ذلك، لأنني نكحتُ سيدتي وابن سيدتي" (ألف ليلة وليلة. د.ت. ج1). حيث تحدث عن صفتين نسبهما للعبد وهو الزنا لزوجة سيده واللواط لابن سيده. ففي هذه الحكاية تشويه ورسم صورة بشعة عن انتشار الزنا واللواط عند المسلمين وهذا افتراء وكذب، كون تعاليم الإسلام تحرِّم ذلك وتقضي بأقسى العقوبة لمن مارس هذه الأفعال الشنيعة.

ومشهد استدراج قوت القلوب لغانم لينام معها في فراش واحد، في قصة غانم بن أيوب، وهي من القصص المضافة لـ (غالان) وقام بوصف المشهد بفحشه بروتون تزويراً: " فانطلقت النار في قلبها وزاد غرامها به وقالت والله ما ننام إلا سواء، فقال معاذ الله، وتغلب عليها ونام وحده إلى الصباح فزاد بها العشق والغرام واشتد بها الوجد والهيام" (ألف ليلة وليلة. د.ت. ج1). وهذه الحكاية مضافة تتحدث عن قوت القلوب تطلب النوم في سرير غانم وتصر على ذلك، وهذا تزوير بيّن، فالمرأة المسلمة تتسم بالحياء ومخافة الله، ولا تطلب الخطيئة من عشيقها. فهذه صورة نمطية بشعة تختلف عن واقع المسلمات في كل الأزمان.

الثالثة: الكذب: وهي من الصفات التي تجنَّى المُستشرقون بها على العرب، وجعلوا الكذب صفة مُلاصقة لهم. ففي قصة غانم بن أيوب المزورة التي أضافها(غالان)، كذبة العبد الثاني الذي أخبر عائلة سيده بموته وصار يُحطِّم ويُخرِّب البيت، ثمَّ أخبر سيده بتهدم بيته واصطبله وموت عائلته (ألف ليلة وليلة. د.ت. ج1).

وذهاب السيد إلى الوالي يشكو كذب عبده، يقول العبد لرفيقيه: " ثم ذهب من شدة غيظه إلى الوالي فضربني علقة شديدة حتى غبت عن الدنيا وغشي علي، فأتاني بالمزين في حال غشيتي فأخصاني وكواني ... وما زلت أُلقي الفتن في الأماكن التي أُباع فيها" (ألف ليلة وليلة. د.ت. ج1). فهذه القصة من القصص المُضافة التي أضافها (غالان) لألف ليلة وليلة وليست منها، وجعل صفة الكذب صورة نمطية منتشرة عند المسلمين من خلالها، مع علمنا بأنَّ الإسلام حرَّم الكذب وجعل الكاذب منافقاً، يستحق العقاب يوم القيامة.

الرابعة: الكسل: وهي من الصفات السلبية التي ادَّعى المستشرقون أنَّ العرب يتصفون بها، ففي قصة السندباد البحري وهي من القصص التي أضافها (غالان)، حديث سندباد لأصحابه عن رحلته الرابعة: " اعلموا يا أخواني أني لما عدت إلى مدينة بغداد ... صرتُ في أعظم ما يكون من الهناء والسرور والراحة، ونسيت ما كنت لكثرة الفوائد وغرقت في اللهو والطرب ومجالسة الأحباب ..." (ألف ليلة وليلة. د.ت. ج3). وهذه صورة نمطية سلبية وصفة عامة للمسلمين تناقض الواقع وتعاليم الإسلام التي تدعو إلى إعمار الأرض، والسعي في طلب الرزق وطلب العلم ونشر الإسلام.

الخامسة: الفحش في القول: وهي من الصفات السلبية التي اتَّصف بها العرب، ونجدها بكثرة في القصص المُضافة والمُزورة التي أضافها غالان، ففي قصة غانم بن أيوب وقوت القلوب وهي من القصص المُضافة، شتم السيد العبد الكذاب: " فقال لي: يا عبد النحس، يا ابن الزانية، يا ملعون الجنس ما هذه الوقائع التي عملتها؟" (ألف ليلة وليلة. د.ت. ج1).

وحكاية علاء الدين والمصباح السحري عند الجاووش في الليالي العربية المزورة ووصف علاء الدين الساحر المغربي الذي احتال عليه: " فاعلمي يا أمي أنَّ هذا الرجل ساحر مغربي ملعون كذاب مكار مُخادع مُنافق ..." (الجاووش. 2011). وهذه صورة نمطية سلبية تناقض الواقع وتعاليم الإسلام، ففي السنة النبوية الكثير من الأحاديث التي تحذر المسلمين من الكلام الفاحش وأنَّه السبب في دخول النار.

السادسة: الغدر والخيانة: وهما صفتان سلبيتان، أكثر غالان في قصصه المُزورة التي أضافها منهما؛ لإعطاء صور نمطية للمسلمين. ففي " قصة علي بابا والأربعين حرامي" حاول رئيس اللصوص أن يغدر بعلي بابا مُدعياً بأنَّه ضيف ووضع اللصوص في قِرَب الزيت حتى يخرجوا بعد نيام عائلة علي بابا ويقتلوها: " أمَّا القايد كان قصده يبات في الساحة عند قربه، واعتذر من دخوله القاعة مُتعللاً بخوف الثقلة لأهل البيت، ولكن في الحقيقة لأجل أن يملك غرضه ويمكنه فعل ما انطوى عليهم من الخيانة فما وافقه علي بابا ..." (الجاووش. 2011). لقد حرَّم الإسلام الغدر والخيانة وعدَّهما من المحرمات، وجعلهما من صفات المنافقين اللتين تدخلان النار.

ونكتفي بهذا القدر من هذه الصور النمطية السلبية وهي كثيرة، بحاجة إلى تتبع كل القصص المُضافة والمزورة التي أقدم (غالان) على إضافتها، فأصبحت صوراً نمطية سلبية للعرب والمسلمين يتم استعمار وحكم العرب والتحكم بهم من خلالها.

لقد كان للمستشرقين دور كبير في زيادة العداوة الغربيَّة للعرب بتأكيد ما توارثوه من صور نمطيَّة لزيارتهم للشرق، وكتابة ما رأوه فيه، مما يؤكد تعصُّبهم، وشهوتهم، وكسلهم، وخمولهم.

" فالمستشرقون لعبوا دوراً سيِّئاً في تشويه كثير من الأمور التاريخيَّة والدينيَّة عمداً أو جهلاً، مما أدَّى إلى مسخ الكثير من الجوانب المشرقة ونقلها بصورة مبتورة، فصوَّروا العصر العباسي على أنَّه ليالي ألف ليلة وليلة الماجنة، وعصر الحريم وشطحات أبي نواس، وغدا الإسلام عند البعض امتلاكاً للحريم وقطع الأيدي والرؤوس في وحشيَّة" (حربي. 2006).

وهذا ما أخذه المستشرقون من حكاية مغامرة هارون الرشيد الليلية، المُضافة إلى الليالي تزويراً مُتعمداً لرسم صور سلبية للمسلمين، والذي قام بإضافتها الماروني "حنا دياب" في ترجمة غالان، وتناقض ما تخبرنا به المراجع التاريخية عن حياة وجهاد هارون الرشيد والتزامه بتعاليم الإسلام في عصره، حيث تنقل كتب التاريخ أنَّه كان يغزو عاماً ويحجُّ عاماً. فهي معلومات مكذوبة عنه، ولا دليل على صحتها.

" روَّج المستشرقون "ألف ليلة وليلة" فأصبحت زاداً للعرب، وفشت في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فجعلوا ما في قصصها من خُرافات هي الصُّورة الحقيقيَّة للمسلمين إبَّان قوتهم وريادتهم للإنسانيَّة، فرسم العرب صور أجدادهم وآبائهم، كالذي نقلوهُ عن هارون الرشيد من فسق وفجور وجواري.." (الدِّيب. 1992).

ارتحل إلى الشرق الكثير من الرحالة وقاموا بكتابة رحلاتهم، وأكَّدوا فيها ما توارثوه من الصور النمطيَّة التي في الليالي العربية (ترجمة غالان)، " دفعهم سحر الشرق ورغبة في إيجاد الإلهام الإبداعي لفنهم، ومع ذلك لم يخرجوا عن نظرتهم المسبقة وكرههم للمسلمين. وممَّا شجَّع على أدب الرحلة عند الغربيين تلك الصور المرتبطة بالجنس في الشرق، فقد تحوَّل الشرق في أذهانهم – كما في الليالي العربية- إلى مكان مليء بالحريم والعبيد والغلمان والأميرات والحجب والرقص الإباحي والجنس المنفلت أي بعناصر مثيرة غرائبيَّة، متعذِّرة التحقيق على القارئ الغربي الكاثوليكي، والشاعر بالحرمان والإثم. ومن جهة أُخرى فإنَّ هذا الوعد بالسعادة الجنسيَّة، التي ما هي في الواقع غير إسقاط لإباحيَّة مقموعة بشدَّة في الأخلاق المسيحيَّة والبرجوازيَّة، وإسقاطها على الآخر الشرقي أو العربي" (غويتسولو.1987). وينتقد إدوارد سعيد دور الاستشراق في دراسة الشرق واجتراح صور نمطيَّة من خلال كتاب "ألف ليلة وليلة".

" أنَّهم درسوا الشرق كونه نصِّياً، فقد جاء وقع الشرق عبر الكتب والمخطوطات لا عبر مُصنّفات مُحاكية مثل النحت والخزفيَّات، كما كان انطباع اليونان على عصر النهضة. بل كان حتى التواشج نصِّيَّاً" (برهومة. 2010). فعندما دَرس الغرب حضارة اليونان مثلاً درسوها من خلال المنحوتات على الجدران والخزفيَّات بينما درسوا الشَّرق من خلال كتب شعبيَّة مُنحطَّة - وجعلوها الأساس للتَّعرُّف على الشرق ودراسته - واستخلاص صور نمطيَّة منها ليسهل حكمه. وهذا ظلم وبهتان مُبين، فكيف يدرسون حضارة شعب باختيار كتاب شعبي للعامة، ويتركوا كل المنجزات الحضارية من نقد وأدب وفنون، وعلوم، وفلسفة، وغيرها؟

" إنَّ ما قام به الرَّحَّالة الغربيُون في الاستشراق ضد العالم الإسلامي بإطلاقهم الأحكام القطعيَّة المطلقة التي تفتقر للدَّليل المنطقي والتجريبي ومُستمدَّة فقط من أوضاعهم التاريخيَّة الاستثنائيَّة ... تحوَّلت تلك الأحكام إلى دلائل دامغة بحق الاستشراق وأدواته وارتباطاته، ورسم صور نمطيَّة وكليشيهات لتشويه الآخر" (توفيق. 2003). فتعصبهم وتحاملهم منعهم من الإنصاف وظهر كذبهم وعدم التزامهم بالموضوعية والأمانة العلمية وجانبوا الصدق في كتبهم.

إنَّ مصدر (بروتون) حول الشبقية الجنسية للمرأة العربية هي ترجمة غالان لـ" ألف ليلة وليلة": " أنَّ بروتون يتقاسم الاعتقاد الشائع لدى معاصريه بالرغبة الجنسيَّة التي لا تُروى لدى الهنديات والعربيات والإفريقيَّات، وتأثَّر باعتقاده بقراءة الكاماسوترا الهنديَّة وكتاب ألف ليلة وليلة" (غويتسولو. 1987).

فالرَّحَّالة كانوا قد قرأوا هذه الكتب وأصدروا أحكامهم على شعوب الشرق بالشَّبقيَّة، وعكسها بروتون فجعل المرأة العربية شبقة لا ترتوي وهي دائماً تخون زوجها وقد استقى ذلك من خيانة زوجتي شهريار وأخيه مع عبدهما. وهذا يُظهر التحامل والتعصُّب والكراهية وتعميم الخيانة والشبقية الجنسية لكل نساء المسلمين. وهذا يخالف تعاليم الإسلام وواقع المرأة المسلمة، مع أنَّ قصة شهريار وأخيه هي قصة الإطار للكتاب والمأخوذة عن القصة الهندية الأصل قبل أن تصل للعرب ويترجموا الكتاب.

إنَّ مَن يقوم بزيارة الشرق - من المستشرقين والرحَّالة الغربيين- كان يأسره ما يجد فيه، ولكنه يخاف من نظرة الجمهور الذي ترسخت الصُّور النَّمطيَّة في ذهنه، فيقوم بتزوير الحقائق لتتماشى مع تلك الصُّور النمطيَّة، ولكنه من خلال ما يكتب عن هذه البلدان التي يزورها لا يتمالك نفسه فيكشف الزيف في قوله، ويردُّ على نفسه بنفسه. والقارئ يستشف هذا الشيء من بعض الملاحظات العابرة التي يقوم بكتابتها دون قصد منه، فتتكشَّف له الحقيقة من التزوير في كتابته. فقد حدثَ مع دومنغو باديا ذلك، " فبعد أنْ قرأ " ألف ليلة وليلة "، وقام برحلاته إلى أفريقيا وآسيا وشاهد إيمان المسلمين الديني العميق ينتهي به المقام إلى نيل احترامهم الكامل ويؤثِّر فيه ..." (غويتسولو.1987).

فالمؤامرة التي حاكها الغرب مكشوفة والعِداء التاريخي بين الشرق والغرب عِداء قديم بدأ بِكُره الضعيف للقوي، أي كره الغرب للمسلمين والعرب أيام قوتهم، ثُمَّ زادَ بعد أنْ تغيَّرت المُعادلة، فأصبحَ القوي ضعيفاً والضعيف قويَّاً، وأصبحَ على القوي أنْ يخلق أسباباً تبرِّر استعماره للضعيف وتسلطه عليه، فلجأ كل من المستشرقين والرحالة إلى التزوير تحامُلاً وتعصباً.

المبحث الرابع: أثر شيوع الصور النمطية في زيادة العداوة الغربية

لقد قرأ الغرب "ألف ليلة وليلة" وتأثَّروا به في أدبهم، ولكنَّ تأثيره لمْ يكن إيجابيَّاً، بل كان سلبيَّاً عليهم وعلينا، فبعد أنْ كانت الكنيسة الكاثوليكيَّة ومحاكم التفتيش في العصر الفيكتوري تفرض عليهم قيوداً وتُحاسب كل من يشُذ منهم، وخاصة في موضوع الجنس والتعري والأفعال غير الأخلاقية. نراهم مثل (بروتون) (Breton) و(فلوبير) (Flauber) يُدهشان من أجواء "ألف ليلة وليلة"، ويرتحلان إلى الشرق للحصول على المتعة الجنسيَّة المتوفِّرة والرخيصة التي تُحرِّمها الكنيسة الكاثوليكيَّة على أتباعها.

وقد تأثر الأدب الغربي بعد ترجمة ألف ليلة وليلة، وأصبح الأدباء يتحللون في أدبهم بتأثير الحكايات التي زوّرت ويقوموا بالوصف الفاحش والإيحاءات الجنسية في رواياتهم وشعرهم مما خالفوا تعاليم الكنيسة الكاثوليكية.

" إنَّ الشاعر كولريدج (Coleridge) بعد أنْ قرأ "ألف ليلة وليلة" استخدمَ شعرًا له رنين الشهوة والإغراء، ثُمَّ تغيَّر الشعر في القرن التاسع عشر وتحوَّل إلى رسالة جنسيَّة واضحة لا مواربة فيها. فلقد استُغِلَّت " ألف ليلة وليلة " لتصبح مناسبة للحديث عن الجنس، وغدا نصُّها مطيَّة للإضافة والتعليق، وأتاح شرق الخيال الغربي فُسحة بعيداً عن القمع الجنسي الفيكتوري وللتعبير في هذا العصر عن توق جنسي كان سيظل مكبوتاً لولا ذلك الشرق" (قباني. 1993).

ثم تنبه الأدباء إلى الجمهور الأوروبي وأراد أن يرسخ الصور النمطية السلبية من خلال أعماله فاستخدم شخصيات شرقية وصور سلوكها بما يعلم أنها تحاكي الشرقيين لكسب مزيداً من الشهرة لنفسه وأدبه.

"إنَّ الشرق والإسلام تحوَّلا تحت يراع الكاتب الغربي إلى مُجرَّد حجة يستند إليها الكاتب لتنمية إبداعه ... فما يهم هو المسيرة الشخصيَّة والأنانيَّة للكاتب وأثرها على جمهوره الأوروبي، في ترسيخ الكليشيهات والأحكام المُسبقة القائمة (غويتسولو.1987). ويعني أنَّ الأدب الأُوروبي الذي نشأ يتحدث عن الشرقيين وخاصة المسلمين، أعطى صوراً نمطيَّة جديدة قام بصناعتها الأدباء الغربيون، وجعلوا أعمالهم الأدبية بضاعة تتمحور حول الشرقيين وإلباسهم صفات أكثر وضاعة مما في كتاب "ألف ليلة وليلة".

لقد ظهر العِداء الغربي بصورة تشويه متعمَّد قام به السياسيون المُستعمرون من جهة والأدباء والرَّحَّالة من جهة أُخرى مُستندين على كتاب شعبي "ألف ليلة وليلة" زاده (غالان)و(بروتون) تشويهاً على تشويهه، ليتم تناقل صور نمطيَّة بشعة للمسلمين لتزداد العداوة، وليسهل استعمارهم والتحكم بهم والسيطرة عليهم، وقام الأدباء من خلال ما كتبوه من أدب برسم صور أكثر بشاعة لهذا العدو القديم الذي أصابه الضعف، وحان لنا أنْ نحكمه ونتحكَّم به بما فيه من صفات سيئة وسلوك بشع.

وظهر بعد ترجمة الكتاب أثران: أحدهما إيجابي والآخر سلبي، أمَّا الإيجابي فيتمثَّل بتأثير الكتَّاب في الأدب الأُوروبي، " إنَّ عدداً كبيراً من الكتَّاب المهمين خلال القرن التاسع عشر كانوا متحمِّسين للشرق، وظهر الشرق في إبداع جنس أدبي من الكتابة الاستشراقيَّة" (سعيد. 1995). وهذا الأثر الإيجابي بدأ في القرن الثامن عشر عندما استلهم الأدباء الغربيون قصص الجن والعفاريت في أدبهم، ولكن الأدباء في القرن التاسع عشر اختلفَ أدبهم وأصبح يصف العرب بصفات وصور نمطية سلبية استلهموها من ترجمة (بروتون) الأشد قبحاً وفُحشاً.

" وبعدها بدأ أدباء الغرب يقلدون الأدب العربي مع أنهم تجاهلوا هذا الأثر وأنكره بعضهم، لكن البحث العلمي المتجرد وظهور مفكرين منصفين من الغرب أثبتوا هذا الأثر في اتجاهات المفكرين الكبار خاصة" (قنيبي. 2007).

أمَّا الأثر السلبي من ترجمة غالان فيتمثَّل " في نشوء نمط من الأُسطورة العائمة دون ضابط حول الشرق، شرق لا يُشتقُّ من وجهات النظر المعاصرة والأهواء المتحيِّزة الشعبيَّة وحسب، بل كذلك مما أسماه فيكو "غرور الأُمم والباحثين" (سعيد. 1995).

ومع بداية الاستعمار هبَّ روَّاده وعُشَّاق الآثار يُنقِّبون عن التراث الشعبي للشرق (الفلكلور) فنُقِل إلى كل لغة وحلَّ الموقع الأوّل من كل أدب، وظفرَ بإعجاب النوابغ من كل أُمَّة. فكما أنَّ كتاب "ألف ليلة وليلة" كان له دور إيجابي، إلاّ أنَّ دوره السلبي كان أكثر خطورة ليس على الأخلاق فقط، وإنَّما على نظرة الغرب لهذا الشرق الذي طالعه في كتاب " الليالي العربية " لِـ(غالان) بداية، فانبهروا به لوجود عوالم سحرية في الشرق، وبعد مطالعة ترجمة (بروتون) الفاحشة أخذوا برسم صور نمطية مقززة عن الشرق.

لقد رسم التنافس والعداء بين الغرب والشرق قبح الشرق كون الغالب والقوي هو الغرب. فهو المتحكم في الإعلام والثقافة والفكر، ويتعاون مع الصهاينة وأصحاب الأقلام المستأجرة التي تضخ لنا يومياً وللعالم أجمع في جميع وسائل الإعلام صورة هذا الإرهابي الشرقي الذي يوجهه دينه وصفاته الوراثية جهة الإرهاب، فيحذر منه ومن التعامل معه، راسماً له كل أشكال الوضاعة والوحشية.

إنَّ العلاقة بين المسلمين والغربيين هي علاقة عِداء ومنافسة، وصفها إدوارد سعيد بالعلاقة بين قطبين شرق وغرب، وهي علاقة عِداء وكره تاريخي بدأ منذ ظهور الإسلام وزاد بعد فتح الأندلس وقيام الدولة العُثمانيَّة بالتَّوسُّع في أُوروبا، فأصبح الإسلام الخطر الذي يتهدد الغرب خاصَّة بعدما زُرِعَ عند الغربيين من دمويَّة الإسلام القائم على السيف، وجهل بالإسلام كديانة وحضارة (سعيد. 1995). ولكن كيف يجوز أنْ نحكم على جنس بشري وحضارة وأتباع ديانة سماوية من خلال كتاب شعبي مثل " ألف ليلة وليلة " حتى وإنْ صحَّت ترجمة غالان ومن ترجمه بعده؟!!

وسعى المستشرقون إلى تنمية احتقار الإسلام وزرع الكراهية له ولشعوبه في نفوس الغربيين بأمرين:

1." الشرح الخاطئ لتعاليم الإسلام، والتعليل الكاذب لتاريخ الفتوح الإسلامية في مؤتمرات، أو أندية، أو كتب، أو صحف، أو تمثيليات.

2.كتب الرحالة عن الواقع الإسلامي في المجتمعات الإسلامية أسوأ ما رأوا، وأضافوا الكثير إلى ما رأوا أو سمعوا من خرافات يكون من شأنها أن تعطي صورة عن الإسلام يشمئز منها النفس فتنصرف عن مجرد التفكير في دراسته أو الاستماع عنه، أو الرغبة في التعرف عليه، وتظهر المسلمين في صورة أضعف ما فيها أنهم كالأغنام يجب اغتنامها فهي أعجز عن أن تقف موقف مقاومة" (الجبري. 1995)

فما قام به الغرب لزيادة الكراهية للمسلمين بدأ بتشويه كل التراث الديني والعلمي والأدبي والتاريخي، وتأكيد الصور النمطية عن طريق الرحالة والمستشرقين الذين أكدوا هذه الصور النمطية وتشبيه المسلمين بالأغنام لجهلهم وسلوكهم البدائي.

وفي القرن العشرين وبعد انتشار وسائل الإعلام المختلفة كالصحافة والقنوات الفضائية والمجلات والأفلام والمسرحيات التي ما زالت تضخ الكثير من التشويه الإعلامي ونسج صور نمطية سلبية " فالتعصب، والإرهاب، وخطر الغزو. هي الملامح التي تلصق عموماً بالشعب العربي، متجاهلة الإرث العلمي والثقافي الغني والمتميز الذي قدمته هذه الحضارة للعالم الغربي" (باونيير. 2005).

ومع تطور وسائل الإعلام قام الغرب بصناعة أفلام سينمائية ترسم صور الشرق كعدو بشع " ففي الوقت الذي ظلت فيه هوليوود تصور المسلمين والصينيين والهنود كمحتالين وأمراء حرب وإرهابيين، كان الشرق نفسه يصور كمكان عجيب غريب وبائس، الحياة فيه رخيصة بلا قيمة، لكن المتع الحسية فيه متوافرة لا حصر لها" (ساردار. 2012).

لقد استمرت عملية توعية للغرب من العدو الشرقي الذي لا يرحم، والذي يرهب أعداءه، وكل ذلك خوفاً من حدوث أي تقارب بين القطبين أو حوار أو توعية حول حقيقة الإسلام كديانة سماوية تُخيف السياسيين والمبشرين من سرعة انتشاره، وإقناعه لمن أراد الهداية. فالخوف كل الخوف من وصولها إلى عقول الغربيين حتى لا يدخلوا فيه ويتَّبعوه.

ولا ننسى أنَّ التبشير رافق الاستعمار للدول الإسلامية، لأسباب دينية " وهي محاولة إضعاف الإسلام والتشكيك في قيمته وإثبات فضل اليهود على الإسلام بادعاء أن اليهودية هي مصدر الإسلام الأول، ولأسباب سياسية تتصل بخدمة الصهيونية: فكرة أولاً ثم دولة ثانياً ... فقد شارك مشاركة فعالة في الحركة الصهيونية التي تجاوبت مع كل القوى المعادية للعرب والمسلمين" (حربي. 2006).

فقد ساعد الغرب الصهيونية العالمية على زرع جسم غريب في قلب الوطن العربي اسمه "إسرائيل" وأحاطه بكل رعاية ومساعدة وخاصة من قبل أمريكا، حتى تعمل على بقاء العرب ضعافاً، ولا يتوحدوا فيصبحوا قوة عالمية، لكن هيهات، فمصير أي جسم غريب أن يطرد ولو بعد حين. فمع تغيير

موازين القوى في العالم وسيطرة أمريكا على العالم وتعاونها مع الصهيونية العالمية في استمرار نشر الصور النمطية وإقناع العالم بأنَّ اليهود يتعرضون للإرهاب المتواصل من العرب، ومع ازدياد اعتداءات اليهود على الفلسطينيين كانت أمريكا الدرع الحامي لليهود في هيئة الأمم لتمنع أي عقوبة عليها من دول العالم.

" وتعقد المقارنات بين الشرق والغرب - بإيحاء من الاستشراق- بما يفيد تفوُّق (المركز) دائماً، وتخلُّف الشرق (الأطراف) دائماً، بروحانياته وتوابله وحريمه ... ثم بعد ذلك كلِّه بتعصب الشرق وإرهابه، مما أفرز نظرية الخوف من الشرق عموماً والإسلام خصوصاً" (النملة. 2018).

"فقد ذكر الكاتب الفرنسي فنسان جيسير (Geyser) عن الرهاب من الإسلام في فرنسا في "كتابه " الإسلاموفبيا: المخاوف الجديدة من الإسلام في فرنسا" فيذكر أنَّ الإسلام يعاني في الغرب من صور نمطية سيئة. ومع تكرار المواقف المأساوية التي قد يكون المسلمون طرفاً فيها يزداد سوء الفهم والتفسير" (النملة. 2018).

لكن لماذا كل هذا الخوف من الشرق؟

لا ينسى الضعيف ضعفه مهما طال الزمن، لذلك يخاف الغرب من الشرق لعلمه بأنَّ القوة الحقيقية تكمن بالحجم الجغرافي والتعداد السكاني ووسائل الحضارة. لذا قام الغرب بعد استعماره للعالم العربي بتجزئته إلى دويلات صغيرة ذات أعداد سكانية قليلة، وسيطروا عليها اقتصادياً حتى لا تتحد ولا يتطور وتبقى متخلفة، وهدفهم في ذلك واضح، ومكشوف وهو السيطرة عليها وإبقائها متخلفة.

" والواقع أن جميع الأوروبيين يرون من مصلحتهم بقاء الشرق شرقياً حتى يمكن استغلاله؛ لأن هذا الاستغلال ينقطع إذا عمدت الأمم الشرقية إلى وسائل الحضارة الغربية فأخذتها كما فعلت اليابان" (توفيق. 2003).

لقد تآمر الاستشراق مع الاستعمار والصهيونية ضد العرب والمسلمين. وما زالوا يتآمرون لطمس الحقائق وإشاعة الأكاذيب والافتراءات عليهم، يدفهم كره تاريخي ومنافسة وصراع بين قطبي العالم القديم الشرق والغرب، وسيظل هذا التعصب والعداء طالما بقي الغرب قوياً والشرق ضعيفاً؛ لذا سعى الاستعمار الغربي إلى تفتيت دول الشرق المستعمرة قبل خروجه من دولهم حتى لا تتحضر، وتبقى ضعيفة ليبقى الاستعمار يستغلهم.

" ذلك أنَّ السواد الأعظم من هذه الدويلات المستحدثة وحدات هزيلة معتلة ومفتعلة قد لا تزيد عن المليون أو المليونين سكاناً. فبحسب تقديرات منتصف 1980، حين بلغت دول العالم 155 دولة، كانت 27 دولة منها من فئة – مليون نسمة، 13 دولة من فئة مليون إلى مليونين، 7 دول من فئة 2-3 ملايين، 13 دولة من فئة 3-4 ملايين، 7 دول من فئة 4-5 ملايين- أي أن 67 دولة بالعالم تقع دون علامة الخمسة الملايين، بنسبة 43% تقريباً من المجموع ... فهي تترك أصحابها بلا وزن حقيقي في مجال القوة السياسية" (حمدان. 1983).

كما وظهرت " بعد الحرب العالمية الثانية نظرية جديدة في الاستعمار: هي الاستعمار الاقتصادي الذي حل محل الاستعمار السياسي والعسكري بعد أن انسحبت قوات الاحتلال من أغلب بلاد الإسلام، ولكنها تركت وراءنا قوى ذات ولاء ثقافي وفكري ما تزال تسيطر على كثير من المقدرات والمراكز الهامة. ويهدف الاستعمار الجديد إلى فرض السيطرة الأجنبية من سياسية واقتصادية على دوله مع الاعتراف باستقلالها وسيادتها ودون الاعتماد في تحقيق ذلك على أساليب الاستعمار التقليدية وأهمها الاحتلال العسكري" (الجندي. 1979).

فالاستعمار أصبح فكرياً واقتصادياً وأصبح أكثر خفاء، ومع ذلك بقي يسيطر على جميع الدول عن طريق مجموعة من أصحاب المناصب التي وضعتها لتحقيق غاياتها والإبقاء على أهدافها الاستعمارية ونظرتها العدائية للإسلام والمسلمين، والتحكم بهم والسيطرة عليهم من بعيد دون جيوش وأسلحة.

ومما يؤسف عليه أن هذه الدول الصغيرة تعصبت لحدودها مع جيرانها وتغير مفهوم الوطن في أذهان سكان كل دولة، وهذا ما يجب أن نعمل على تذكيره للعرب، ففي الاتحاد قوة وفي التفرقة ضعف. ونحن نخدم الغرب الاستعماري والصهاينة بفكرة الوطن الصغير الذي نقبل فيه، ونرفض أن نتوحد مع الدول العربية؛ لنشكل قوة مؤثرة في العالم، وهذا ما يرفضه الاستعمار بكل أشكاله وسيحاربنا إن فكرنا فيه.

" فمن الأسف أن أغلب الدول الجديدة قبلت الحدود- الأقفاص الحديدية بالأحرى- التي فرضها الاستعمار، وتمسكت بها كما لو كانت إرثاً مقدساً " (حمدان. 1983).

لقد حدد الغرب فمفهوم الشرق هو دول " العالم الثالث اليوم هو محصلة فكرة الشرق القديمة باستثناء اليابان وفكرة الجنوب الجديدة... ففكرة الشرق تلك تطورت أيضاً نحو الضيق من الشرق عامة إلى الشرق الإسلامي خاصة إلى الشرق العربي فقط" (حمدان. 1983).

فعلينا كمسلمين إذا أردنا أن نوقف هذا التشويه الموجه إلينا، أن نعمد إلى الأخذ بوسائل الحضارة والوحدة فهما السبيل للتصدي للغرب، ومنعه من استغلالنا.

إن الصور النمطية التي انتشرت في الغرب بدأ الكثير من المستشرقين المنصفين في إسبانيا وألمانيا وغيرها من الدول، بالكشف عن كذبها وتزويرها كحركة مضادة لما نشهده اليوم من المستشرقين المتحيزين الفرنسيين والإنجليز والأمريكان واليهود الذين ما زالوا ينشرون الأكاذيب حول الإسلام والعرب في وسائل الإعلام العالمية والتنفير منه، بغرض زيادة الكره والعداء على الصعيد الديني لخوف الكنيسة المتزايد من انتشار الإسلام في الغرب،

وعلى الصعيد السياسي ذي الأغراض الاستعمارية التوسعية والتعاون مع الصهيونية العالمية؛ للسيطرة على العرب والمسلمين والبقاء على ضعفهم وفرقتهم وتخلفهم؛ ليسهل السيطرة عليهم والتحكم بهم. وما جناه المزورون سوى الاحتقار والكره وعدم احترام أو الاحتفاء بمنجزاتهم بعد أن فضحهم المستشرقون المنصفون وكشفوا للعالم تزويرهم الذي كان له ضحايا بالملايين على يد الاستعمار، لأنه حكم الشرق وفق ما أكدوه من الصور النمطية السلبية، وادعوا أن الشرق لا يحكم إلا وفق هذه الصور الكاذبة.

ولن يوقف العرب هذه الصور النمطية السلبية إلاَّ إذا فكروا بالوحدة بين دولهم الصغيرة، ليصبحوا متوحدين في دولة قوية يمتلكون كل وسائل الحضارة من خلالها ليصبحوا دولة قوية مؤثرة في العالم، حينئذٍ ستتغير نتيجة هذا الصراع والمنافسة بين الشرق والغرب، بل عندها سيُقبِل الغرب على التعرف على الإسلام واعتناقه، لتسقط الحواجز والمخاوف والإرهاب الكاذب ويصبح الشرق والغرب شرقاً واحداً وأصحاب حضارة وديانة واحدة لا عداء بين أبنائها.

الخـاتمـة:

إنَّ العلاقة بين الغرب والشرق عِداء تاريخي بدأ منذ ظهور الإسلام وازداد العداء بعد فتح بلاد الشام والأندلس وتجدَّد بعد قيام الدولة العثمانيَّة بالتَّمدُّد في أُوروبَّا (سعيد. 1995. 89)، وأصبحَ هذا العدو (الإسلام) يُشكل تهديداً مُستمراً يخافه الغرب ويحذّر منه، ويُحيك القصص والصُّور المُنفِّرة والمُقزِّزة لهذا العدو- البرابرة المُتوحشون- الذين يقطعون الرؤوس، ويتصفون بالشبقية الجنسيَّة التي لا ترتوي. وأصبحت هذه الصور النمطية السلبية عقيدة راسخة مُتوارثة بين الأجيال يوصي بها الكبير الصغير، ويضعونه في أدبهم وفكرهم وثقافتهم، مُستعينين بالتاريخ الذي يؤكد كرههم وبغضهم الشديد للمسلمين حتى بعد أنْ أصبحوا ضِعافاً، وقام الغرب باستعمارهم والتَّحكُّم بهم.

وبحث الغرب عن طريق مستشرقيه عن مصادر لإدانة الإسلام والمسلمين وتأكيد الصور النمطية السلبية لهم من الداخل (من التراث العربي) فوجدوا في كتاب "ألف ليلة وليلة" الشعبي فكان بغيتهم. فقد تُرجم كتاب "ألف ليلة وليلة" إلى عدة لغات أجنبية، وذلك يدلّ على أهميته فكرياً وموضوعياً في القرن الثامن عشر والتاسع عشر، وقام المترجمون بالإضافة عليه وتزويره ونشروه مزوَّراً مع كل ما يحمل في طيَّاته من فُحش ومُجون وخلاعة؛ لتأكيد صور نمطيَّة سلبية للمسلمين أعدائهم الشرقيين؛ لتبرير حكمهم والسيطرة عليهم سياسياً بعد أن تغيرت موازين القوى، فأصبح الضعيف قوياً والقوي ضعيفاً، والتنفير من دينهم الذي يأمرهم بكل هذه الأفعال البشعة كي يمنع الغربيين من التعرُّف على الإسلام والحد من انتشاره. ومهما حاول العرب والمسلمون من تغيير وجهة النظر الغربيَّة حولهم، واستعانوا بكل وسائل الإعلام المُتاحة فلن يتحوَّل العِداء إلى حُبٍّ وصداقة، ولو ظهر ذلك، فهي مصالح يتم فيها قبول الآخر باستمرارها وتتوقف بتوقفها؛ لأنَّها صورة ثابتة في عقولهم يتوارثونها وينشرها أدبهم، وثقافتهم، وخطابهم السياسي، ووسائل إعلامهم. لذا فالعلاقة لن تتغيَّر طالما بقي الشرق ضعيفاً مُتخلِّفاً والغرب قويَّاً متقدماً ومُتطوِّراً، وإذا انعكست الآية وتحوَّل المسلمون أقوياء ومتطورين، وانتشر الإسلام في الغرب ووجد الغربيون حضارة وعقيدة المسلمين الحقيقيَّة، وليست المُزوَّرة الحاليَّة، عندها ستختلف النظرة إلى المسلمين، وسيصبح الغربي والشرقي دولة واحدة وحضارة واحدة هي الحضارة الإسلامية التي تجمع الشرق والغرب معاً فلا يعود هناك عداوة أو صراع أو تنافس بين أبناء الحضارة الإسلامية.

وخلص البحث إلى الاستنتاجات التالية:

1. قام المستشرقون بترجمة كتاب ألف ليلة وليلة وفتح عيون الغرب على نوع من أدب الفانتازيا وعالم الغيبيات والجن ما جعله معين لا ينضب لأدبهم ومادة لأفلامهم حتى عصرنا الحاضر.
2. قام المترجمون بتزوير ترجماتهم، فترجمه غالان إلى الفرنسية وأضاف فيه قصصاً ليست من الكتاب يشيع فيها صوراً للعرب والمسلمين سلبية، وأخذ بروتون ترجمة غالان وإضافاته وترجم الكتاب إلى الإنجليزية وأفحش فيها. ثم أخذ المترجمون يترجمون الكتاب من نسخة بروتون إلى اللغات الأوروبية، فأصبحت هذه النسخة هي المنتشرة عالمياً. فلم يتحرَّ المترجمون الموضوعيَّة والأمانة في ترجماتهم، وأكثر ترجماتهم مخالف للحقيقة بتزويرهم الذي نقل صورة غير واقعية عن الشرق بقصد وإصرار وتحامل عليه.
3. انتشرت الصور النمطية السلبية للعرب والمسلمين من تزوير المستشرقين لترجمة الكتاب. فليسَ من المعقول أنْ نأخذ كتاباً ليس عربيَّ الأصل؛ ليقدِّم صورة عن العرب، وحياتهم، وسلوكهم، وصفاتهم. ولا يجوز ولو كان فيه تهتُّك ودناءة أنْ يكون دليلاً دامغاً ويصبح محل إدانة للشرقيين؛ لاستمرار العداء بين الغرب والشرق، ويرسم صوراً نمطية لكل الأمم الشرقية على أساس ما جاء فيه، وهو كتاب لا يعتدُّ العرب به في أدبهم وتاريخهم ولم يتعرض نقادهم لدراسته ونقده.
4. ولم يجنِ المترجمون ثمرات ترجمتهم من احترام الغرب أو الشرق لهم، بل عملوا على فساد الغرب الذي كان محافظاً يتبع تعاليم الكاثوليكية المحافظة، وظلم الشرق وحكمهم واستعمرهم وفق هذه الصور السلبية، وهبَّ المُستشرقون والنقاد غير المتحيزين لكشف تزويرهم، وفضح عملهم الذي أدَّى إلى قتل وتعذيب الملايين من المسلمين.

5. إن العداء والمنافسة بين الغرب والشرق جعل الغرب يقوم بنشر الافتراءات والأكاذيب والتزوير تعصباً دينياً وسياسياً في التاريخ الإسلامي والدين الإسلامي واللغة العربية والأدب العربي، فيكون التزوير في كتاب "ألف ليلة وليلة" جزءاً بسيطاً مما زوره أعداؤنا تعصُّباً وكرهاً.
6. واستمرَّ أثر هذه الصور النمطية للمسلمين وترهيب الغرب من الإسلام والمسلمين، وكان الهدف منها السيطرة والتحكم بالمسلمين من جهة ومن جهة أخرى الحد من انتشار الإسلام، وتخويف العالم منه حتى لا يرجع للسيطرة على العالم وخاصة العالم الغربي.
7. بعد بحث ومقارنة اهتدى محسن مهدي لنسخة من كتاب " ألف ليلة وليلة" أقرب إلى الأصل، ويظهر فيها مجموعة من القصص لأربعمائة ليلة ترتبط بحضارات هندية وفارسية وعربية وبلغة أقرب للعامية وتخلو من الفحش ومن القصص التي أضافها غالان في ترجمته.

التوصيات: إصدار نسخة محسن مهدي من كتاب " ألف ليلة وليلة ". ونشرها بلغات عربية وغربية ليتعرَّف العرب والغربيون على النسخة الحقيقية غير المزورة من الكتاب، وعمل مؤتمرات نقدية وأدبية في الجامعات، تكشف زيف ترجمات المستشرقين للكتاب، والأهداف الاستعمارية والتعصبية الدينية.

المصادر والمراجع

الإدريسي، ح. (2005). خدمات المستشرقين الألمان في التراث العربي الإسلامي تحقيقاً وترجمة. *مجلة فكر للعلوم الإنسانية والاجتماعية المغربية*، 8، 83-99.

أسعد، س. (1989). ترجمة النص الأدبي. *عالم الفكر*. 19(4). 15-36.

ألف ليلة وليلة. (د. ت). بيروت: المكتبة الشعبية.

بارنيير، أ. (2005). العرب، الإسلام والغرب.. وجهة نظر أوروبية. *مجلة أفكار*. 200، 33-37.

البرغوثي، ع. (1986). الفولكلور والتراث، *عالم الفكر*، (17)1، 93-122.

برهومة، ع. (2010)، جدل التأثُّر والتأثير (مثل من الاستشراق)، *مجلة أوراق*، 32 و33، 48-61.

توفيق، ز. (2003). صورة الغرب عند العرب في العصر الحديث، *مجلة أوراق*، رابطة الكُتَّاب الأردنيين. 16 و17، 13-24.

الجاووش، م. (2011). *الليالي العربية المزورة*. ط1. بغداد: منشورات الجمل.

الجبري، ع. (1995). *الاستشراق: وجه للاستعمار الفكري*. ط1. القاهرة: مكتبة وهبة.

الجندي، أ. (1973). *الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي*. القاهرة: دار الاعتصام.

الجندي، أ. (1979). *الاستعمار والإسلام*. القاهرة: دار الأنصار.

حربي، خ. (2006). دور الاستشراق في موقف الغرب من الإسلام وحضارته. *المجلة الثقافيَّة*، الجامعة الأردنيَّة، (66)، 41-53.

حمدان، ج، (1983). *استراتيجية الاستعمار والتحرير*. ط1. بيروت: دار الشروق.

خوري، ر. (1995). دور ورق البردي في نقل الروايات الأولى لألف ليلة وليلة ونصوص قديمة أُخرى وتدوينها وضبطها في القرون الثلاثة الأولى للحضارة الإسلاميَّة، *حوليات الجامعة التونسيَّة*. 39. 158-167

الدعيمي، م. (1995). مرآة الاستشراق وخصائص الوعي الأمريكي بالشرق العربي الإسلامي، *المجلة الثقافيَّة*، 36. 9-27

الديب، ع. (1992). *المستشرقون والتراث*. ط3. مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

رومان، ل. (2017). إدوارد سعيد والاستشراق الألماني: نظرة نقدية. *مجلة دراسات استشراقية*. 10، 123-148.

ساردار، ض. (2012). *الاستشراق: صورة الشرق في الآداب والمعارف الغربية*. ترجمة فخري صالح. ط1. أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة.

السراقبي، و. (2007). الترجمة والترجمة المشوهة. *المعرفة*، 46(529)، 52-65.

سعيد، إ. (1995). *الاستشراق*. نقله إلى العربيَّة كمال أبو ديب. ط4. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربيَّة.

الشاروني، ي. (2008). *الحكاية في التراث العربي*. ط1. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

عايش، ح. (1993). الهوية المغلوطة أو صورة العرب المشوهة في الكتابات الشعبية في الغرب. *المجلة الثقافية*. 29. 16-29.

عباس، إ. (1977). *ملامح يونانية في الأدب العربي*. ط1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

عبد الرازق. أ. (2002). *الصورة النمطية الغربية للإسلام في العصر الحديث*. المؤتمر الدولي السابع للفلسفة الإسلامية. الإسلام والعرب حوار أم صراع. إبريل 2002. القاهرة: جامعة القاهرة.

علي، ع. (2010). محسن مهدي والتأويل الديني لألف ليلة وليلة. *أدب ونقد*. 173. 34-37.

عمايرة، إ. (1995). الفصحى في الدرس اللغوي وكتب تعليم العربية لدى المستشرقين الألمان. *مؤتة للبحوث والدراسات*. 10(4). 13-56.

غريب، ج. (1983). *الموسوع في الأدب العربي* (20)، العصر العباسي ـ نماذج نثريَّة مُحللة -. (ط4). بيروت: دار الثقافة.

غويتسولو، خ. (1987). *في الاستشراق الإسباني*. تعريب كاظم جهاد. (ط1). بيروت: المؤسسة العربيَّة للدراسات والنَّشر.

قبَّاني، ص. (1993). *أساطير أُوروبا عن الشرق (فرَق تسد)*. ط. دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنَّشر.
قنيبي، ح. (2007). *مطالعات عربية ومصطلحات في الأدب المقارن والنقد الحديث*. عمان: دار ابن الجوزي.
القزاز، م. (2013). الاستشراق ودوره في صراع الحضارات. *آداب الكوفة*. 6 (17). 389-402.
ليتمان، إ. (1982). *ألف ليلة وليلة دراسة وتحليل*. كتب دائرة المعارف الإسلاميَّة (10). لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلاميَّة إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان. (ط1). بيروت: دار الكتاب اللبناني.
المسعودي، ع. (2005). *مروج الذهب ومعادن الجوهر*. (ط1). راجعه كمال حسن مرعي. بيروت: المكتبة العصرية.
مهدي، م. (1984). *ألف ليلة وليلة: من أصوله العربية الأولى*. ليدن: منشورات بريل.
ابن النديم، م. (1985). *الفهرست*. تحقيق ناهد عباس عثمان. (ط1). قطر: دار قطري بن الفجاءة.
النملة، ع. (2018). *الاستشراق الألماني بين التميّز والتحيُّز*. بيروت: بيسان للنشر والتوزيع.

References

Abbas, E. (1977). *Greek features in Arabic literature*. (I 1). Beirut: The Arab Institute for Studies and Publishing.

Abdel Razek. A. (2002). *The Western stereotype of Islam in the modern era. Seventh International Conference on Islamic Philosophy*. Islam and the Arabs: dialogue or conflict. April 2002. Cairo: Cairo University.

Al-Duaimi, M. (1995). *The Mirror of Orientalism and the Characteristics of American Awareness of the Arab-Islamic East*, The Cultural Journal, (36), 9-27

Al-Jabri, p. (1995). *Orientalism: A Face of Intellectual Colonialism*. I 1. Cairo: Wahba Library.

Al-Idrisi, H. (2005). *The services of the German orientalists in the Arab-Islamic heritage, editing, and translation*. Fikr Magazine of Moroccan Humanities and Social Sciences, 8, 83-99.

Ali, p. (2010). *Mohsen Mahdi and the Religious Interpretation of One Thousand and One Nights. Literature and criticism*. 173. 34-37.

Amayreh, E. (1995). *Standard Arabic in the linguistic lesson and books for teaching Arabic with the German orientalists*. Mut'ah for research and studies. 10(4). 13-56.

Asaad, S. (1989). *Literary text translation*. world of thought. 19(4). 15-36.

Al-Sarakbi, and (2007). *Distorted translation and translation*. Knowledge, 46(529), 52-65

Al-Sharone, Y. (2008). *The Story in the Arab Heritage*. (I 1). Cairo: The Supreme Council of Culture.

Al-Jawosh, M. (2011). *Forged Arabian Nights*. (I 1). Baghdad: Al-Jamal Publications

Al-Jundi, A. (1973). *Common Suspicions and Mistakes in Islamic Thought*. Cairo: Dar al-I'tisam.

– Al-Jundi, A. (1979). *Colonialism and Islam*. Cairo: Dar Al-Ansar.

Al-Deeb, A. (1992). *Orientalists and Heritage*. (I 3). Egypt: Dar Al-Wafaa for printing, publishing, and distribution.

Al-Duaimi, M. (1995). *The Mirror of Orientalism and the Characteristics of American Awareness in the Arab-Islamic East.* Al-Thaqqa'a Magazine, (36), 9-27

Al-Masoudi, A. (2005). *Promoting Gold and Minerals of the Jewel*. (1st Edition). Reviewed by Kamal Hassan Mari. Beirut: Modern Library.

Al-namlah, P. (2018). *German Orientalism between distinction and prejudice*. Beirut: Bisan for publishing and distribution.

Al-Qazzaz, M. (2013). *Orientalism and its role in the clash of civilizations. Kufa etiquette*. 6 (17). (389-402).

Ayesh, H. (1993). *False identity or the distorted image of Arabs in popular writings in the West*. Cultural Journal. 29. 16-29.

Barghouthi, A. (1986). *Folklore and Heritage, The World of Thought*.1 (17). 93-122

Barhouma, A. (2010). *The debate of influence and influence (such as from Orientalism)*, Awraq Journal, (32 and 33). 48-61.

Barnier, A. (2005). *Arabs, Islam, and the West. a European point of view*. Afkar magazine. 200. 33-37.

Harbi, Kh. (2006). *The role of Orientalism in the position of the West on Islam and its civilization*. The Cultural Magazine, University of Jordan, (66), 41-53.

Hamdan, J. (1983). *colonization and liberation strategy*. I 1. Beirut: Dar Al Shorouk.

Ibn al-Nadim, m. (1985). *Index*. (I 1). Edited by Nahid Abbas Othman. Qatar: Qatari Ibn Al Fujaa House.

Ghareeb, C. (1983). *Encyclopedia of Arabic Literature (20), Abbasid Era - Analyzed Prose Models* - (.I. 4). Beirut: House of Culture.

Goetsolo, K. (1987). *On Spanish Orientalism*. (I 1). Arabization of Kazem Jihad. Beirut: The Arab Institute for Studies and Publishing.

Khoury, R. (1995). *The Role of Papyrus in Transmission*, Codification and Control of the Early Narratives of the Thousand and One Nights and other ancient texts in the first three centuries of Islamic civilization, Annals of the Tunisian University. (39). 158-167.

Littman, E. (1982). *One Thousand and One Nights, (Study and Analysis)*, 1st Edition, Committee for the Translation of the Islamic Encyclopedia Ibrahim Khurshid.). Books of the Islamic Encyclopedia (10). Abdul Hamid Younis and Hassan Othman. Beirut: Lebanese Book House.

Mahdi, M. (1984). *One Thousand and One Nights: From its first Arabic origins*. Leiden: Brill Publications.

One Thousand and One Nights. (N.D). Beirut: Popular Library.

Qappani, p. (1993). *European myths about the East (divide and rule)*, 3rd ed. Damascus: Dar Tlass for Studies, Translation and Publishing.

Quneibi, H. (2007). *Arabic readings and terminology in comparative literature and modern criticism*. Amman: Dar Ibn Al-Jawzi.

Roman, L. (2017). *Edward Said and German Orientalism: A Critical View*. Oriental Studies Journal. 10, 123-148.

Said, E. (1995). *Orientalism. Translated into Arabic by Kamal Abu Deeb*. (4th ed), Beirut: Arab Research Foundation

Sardar, Z. (2012). *Orientalism: the image of the East in Western literature and knowledge*. Translated by Fakhri Saleh. I 1. Abu Dhabi: Abu Dhabi Tourism and Culture Authority.

Tawfiq, Z. (2003*). The Image of the West for Arabs in the Modern Era*, Awraq Magazine, Jordanian Writers Association. (16 and 17), 13-24.